

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

د. محمد مصطفى كلاب

كلية الآداب - قسم اللغة العربية

الجامعة الإسلامية - غزة - فلسطين

ملخص: يمثل الخطاب التربوي - على اختلاف مرجعياته وتباين مستوياته - معلماً فكرياً وحضارياً بارزاً، أثرى تجارب الأدباء والنقاد، وأسهم في بلورة نتاجاتهم الإبداعية والنقدية، بشكل باتت فيه تتمتع بفضاءات تأويلية واسعة، وتتحرك ضمن رؤى فنية متجددة، تكشف فعالية الخطاب التربوي في إنتاج الدلالة الأدبية.

ويسعى هذا البحث لدراسة أبعاد الخطاب التربوي في شعر (عبد الخالق العف) دراسة تحليلية فنية تعنى بالكشف عن تجلياته الروحية، والأخلاقية، والوجدانية، والاجتماعية، والحضارية، والإنسانية، والسياسية؛ لمعرفة انعكاساته على الفرد والمجتمع.

The Dimensions of Educational Address in the Poetry of Abdelkhaleq Al Af

Abstract: The educational address in poetry represents a prominent, intellectual and civilized landmark which has continued to enrich the experiences of artists critics and writers. It has also contributed in crystallizing their critical and creative productions because it can be interpreted in so many ways. It also reflects the efficiency of the educational address in producing the literary meaning.

This research aims at studying the dimensions of the educational address of Abdelkhaleq AIAF's poetry; an analytical and artistic study that focuses on showing its spiritual, moral, sentimental, social, civilized, humane, and political characteristics and its reflections on the individual and society.

Key Words: (Poetry, Educational Address, society)

مقدمة:

الأدب الفلسطيني المعاصر بحاجة إلى الإفادة من (الخطاب التربوي) المنبثق من مصادر الدين الإسلامي؛ لاستثمار قيمه الفكرية والروحية في العمل على خلق منظومة تربوية فاعلة متكاملة تنهض بالمجتمع على اختلاف مستوياته، وتباين شرائحه، وتكشف عن عمق الترابط بين الأدب والمجتمع، وفاعلية الأدب الهادف في بناء منظومة تربوية تؤسس لمجتمع فلسطيني متماسك، تسوده القيم المستوحاة من: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتاريخ الإسلامي، وتؤهله للسمود في وجه المخططات الصهيونية الهادفة إلى تدمير البنية التربوية للمجتمع الفلسطيني.

د. محمد كلاب

مشكلة الدراسة:

يمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما طبيعة الخطاب التربوي المتمثل في شعر الدكتور عبد الخالق العف ؟
ويقتنع عند هذا السؤال الرئيس ثلاثة أسئلة فرعية هي:

1- ما مفهوم الخطاب التربوي ؟

2- ما مصادر الخطاب التربوي في شعر العف ؟

3- ما أبعاد الخطاب التربوي في شعر العف ؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على الخطاب التربوي في شعر الدكتور عبد الخالق العف و تتبع مصادره، و تذوق معانيه، و تمثل مضامينه الفكرية و الروحية، بوصفه خطاباً يعبر عن الركائز الإسلامية للمجتمع الفلسطيني و قيمه الأصيلة النابعة من تراثه، كما يهدف البحث إلى تحليل أبعاد الخطاب التربوي في شعر العف و الوقوف على أبرز صورته و المتمثلة في الأبعاد الروحية، و الأخلاقية، و الوجدانية، و الاجتماعية، و الحضارية، و الإنسانية، و السياسية.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في بحثه المنهج التحليلي الفني، الذي يعنى بدراسة أبعاد الخطاب التربوي في شعر الدكتور عبد الخالق العف دراسة تحليلية فنية، وذلك بتحليل مجموعة من النصوص الشعرية واستنباط أبعادها التربوية، مع العمل على متابعة امتداداتها الروحية: والأخلاقية، والوجدانية، والاجتماعية، والحضارية، والإنسانية، و السياسية، لتذوقها ومعرفة آثارها على الفرد والمجتمع.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث أية دراسات سابقة تطرقت إلى أبعاد الخطاب التربوي في شعر الدكتور عبد الخالق العف؛ و لكنه وجد مجموعة من الدراسات التي تتعلق بموضوع الدراسة بشكل غير مباشر منها:

1- دراسة يحيى محمد أبو ججوح (2006) بعنوان " القيم التربوية في نماذج من الشعر الفلسطيني المعاصر " وتوصلت إلى سبع قيم هي: القيم الروحية، و الأخلاقية، و الوجدانية و الاجتماعية، و العلمية، و السياسية، و البيئية.

2- دراسة حماد أبو شاويش (2004) بعنوان " القيم و الآداب في شعر الشهيد إبراهيم المقادمة"، وتوصلت إلى خمس قيم هي : الإيمان بالقضاء و القدر، و طلب الشهادة و شرف نيلها، و الصبر و الصلاة، و الجهاد و الثورة و تحدي الغاصبين و الدعوة إلى الجهاد و رص الصفوف.

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

3- دراسة عبد الرحيم حمدان (2004) بعنوان " القيم الإسلامية في لا تسرقوا الشمس " وتوصلت الدراسة إلى خمس قيم هي: الصبر، و الدعاء، و المناجاة، و التوجه إلى الله و الصوفية، و الجهاد و الاستشهاد، و الصمود و التحدي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تتناول موضوعاً له أهميته في بناء الأفراد و المجتمعات، و تبحث في شعر شاعر ضارب بجذوره المعرفية في أرض تراث إسلامي شديد الغنى و الخصوبة، تمثل الخطاب التربوي بفكره، و فنه، و سلوكه، و عاش امتداداته الفكرية، و الروحية، و انعكاساته على الواقع بكل مفارقاته و أبعاده ، و عمل على ربطه بالمرجعيات الإسلامية، إضافة إلى كونه يكشف عن عمق الترابط بين ميدانين مهمين من ميادين المعرفة هما : الأدب المتمثل في شعر الدكتور عبد الخالق العف، و المجتمع المتمثل في الخطاب التربوي بأبعاده المتباينة التي تبرز أهمية الأدب السامي في ترسيخ قيم تربوية فاعلة تعمل على بناء الأفراد، و النهوض بالمجتمعات.

وقد تفتح هذه الدراسة آفاقاً أمام الدارسين؛ للكشف عن ملامح الأدب الهادف، و إرساء نظرية الأدب الإسلامي المنبثقة من ثقافتنا الإسلامية و قيمنا الحضارية.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على تتبع أبعاد الخطاب التربوي في شعر الدكتور عبد الخالق العف ثم تحليل قيمه التربوية، و ذلك في ديوانه المطبوع (شدو الجراح)، و القصائد المخطوطة التي بحوزة الشاعر .

تصنيف أبعاد الخطاب التربوي:

يمكن تصنيف أبعاد الخطاب التربوي في شعر الدكتور عبد الخالق العف إلى المحاور

التالية:-

- مفهوم الخطاب التربوي .
- مصادر الخطاب التربوي .
- أبعاد الخطاب التربوي :
- البعد الروحي.
- البعد الأخلاقي.
- البعد الوجداني.
- البعد الاجتماعي.

د . محمد كلاب

- البعد الحضاري.
- البعد الإنساني.
- البعد السياسي.

مفهوم الخطاب التربوي:

الخطاب التربوي مجموعة من القيم و المبادئ البناءة التي تخاطب العقول فتقتنعها، والقلوب والعواطف فتثيرها؛ لأنه خطاب موجه للإنسان المكوّن الأول للأسرة والعنصر الرئيس للمجتمع والدولة، والإنسان ليس عقلاً مجرداً، إنه عقل و قلب معاً؛ عقل يدرك أهمية القيم التربوية و دورها في بناء الأفراد و تطوير المجتمعات؛ و قلب يشعر بقوة تأثيرها في الوجدان وانعكاسها على الأفعال.

وقد شكل الخطاب التربوي في شعر العف منظومة تربوية تكاملية خاطب بها الشاعر كينونة الإنسان بكل مكوناتها الفكرية، و تجلياتها الروحية، و تفاعلاتها الوجدانية؛ كون الخطاب التربوي ركيزة أساسية من ركائز الشخصية الإسلامية يؤثر في وجدانها، ويوجه سلوكها، و يضبط علاقاتها الفردية و الجماعية، و يعبر عن هويتها الفكرية.

و لم يكن اهتمام (العف) بالخطاب التربوي بعيداً عن اهتمامه بالبنية الفنية التي تحظى بعناية شديدة فبدونها لا ينتظم الإنتاج الأدبي و لا يتمكن من تأدية رسالته، فالمقومات الفنية في شعر العف لم تفقد فعاليتها الدلالية والجمالية بل امتلكت القدرة على التعبير عن رؤى الشاعر، و التأثير في المتلقي؛ لأنها تتوافر فيها الصياغة الفنية الموحية، و الأغراض التربوية الهادفة، و توافر هذين العنصرين في قصائد العف يوحي بامتلاك الشاعر القدرة على الجمع بين المعطيات الفنية و الموضوعية، و تقديم نتاج أدبي لا تحول فيه الصياغة الفنية دون التأثير التربوي و بالمقابل لا يكون الحرص على التأثير التربوي سبيلاً إلى التخلي عن الصياغة الفنية، و بذلك يتفاعل الشكل مع المضمون في شعر العف؛ لتحقيق وحدة تكاملية قائمة على التداخل و الانسجام بين أدوات التعبير والقضايا المعبر عنها.

وقد وقف هذا الأدب الهادف في وجه أصحاب الأدب الخالص (الفن للفن) الذين ابتعدوا بالأدب عن المجتمع، و نظروا إلى الأدب نظرة تجريدية محضة بعيدة عن القضايا الإنسانية، و ركزوا على الشكل دون المضمون، و لم يقيموا وزناً للقيم التربوية و العلاقات الإنسانية، و سعوا إلى إرضاء ميولهم الفنية الخالصة من خلال اهتمامهم بتشكيل الصور الفنية و البحث عن البنى الإيقاعية و الجمالية دون النظر إلى الدلالات المعنوية و القيم الإنسانية، والتي هي من أهم الوظائف الموضوعية للأدب، وقد رأوا "أن هدف الفن ينبغي أن يكون جمالياً محضاً، و هذا

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

الهدف الجمالي المحض منفصل بطبيعته عن الأهداف الأخلاقية، وعن أية أهداف أخرى " (محمود الربيعي: 47)، الأمر الذي جعل أدب هؤلاء فارغاً من أية قيم تربوية أو قضايا إنسانية؛ لأنهم يعيشون في أبراج عاجية بعيداً عن المجتمع و قضاياه، ولا يفكرون في أية قيم إنسانية؛ و بالتالي يظل هذا النوع من الأدب معزولاً عن المجتمع، بعيداً عن الحياة، يفقر إلى الحيوية و الفعالية.

فكرة الأدب الخالص غريبة عن بيئتنا الإسلامية حيث لا تتفق مع قيمنا الفكرية و الروحية، ولا تتسجم مع رسالتنا السماوية وأهدافنا التربوية؛ لأنها تعزل الأديب عن المجتمع فتبتعد بالأدب عن أهدافه السامية بتفريغه من محتوياته التربوية و قيمه الإنسانية، و بالتالي تصطدم فكرة الأدب الخالص مع الأدب الهادف الذي يعبر عن روح العصر، ويلتزم بقضايا الجماهير، و يغذي روح الإنسان، و عقله، و وجدانه، و يعينه على تجاوز هموم الواقع و فهم مفارقاته، و يفتح أمامه آفاقاً واسعة للتأمل، و التدبر، و التفكير في عناصر الطبيعة، و هذا يحقق فاعلية الانتماء المتبادل بين الأدب و القيم الإنسانية السامية.

والعف في خطابه التربوي يحافظ على القيم التربوية جنباً إلى جنب مع القيم الجمالية، و قد تمكن بفضل أفكاره و خصوبة تجاربه من تحقيق المعادلة الشعرية الصعبة التي تفرضها طبيعة الشعر الهادف وهي الجمع بين الفكر و الفن، بين الإقناع و التأثير، بشكل يفي بأهداف الشعر الفنية و الموضوعية؛ " ذلك لأن القيمة الفنية لأي عمل أدبي ليست في المضمون دون الصورة، و لا في الصورة دون المضمون، إنما في النسبة القائمة بينهما، و في الدرجة العالية من التوازن التي يحققها العمل الفني بين الفكر و الشعور " (محمد العشماوي، الأدب و قيم الحياة المعاصرة، 1980: 211-212)؛ و بذلك قدم الشاعر أنموذجاً طيباً لما ينبغي أن تكون عليه القصيدة المعاصرة التي تعبر عن قضايا الواقع و روح العصر بأسلوب فني مؤثر، فالغرض من الإبداع يكمن في "التأثير النفسي بإيقاظ الخيال أو تحريك الوجدان، أو توجيه العاطفة، عن طريق الإدراك الحسي،... أما الغرض غير المباشر يتمثل في توجيه الإنسان نحو المثل العليا في الحياة " (عبد العزيز عتيق، 1972: 15-16)، و هذه هي وظيفة الأدب الهادف الذي يمد المتلقي بالقيم البناءة، و الحيوية، و الفاعلية.

مصادر الخطاب التربوي:

ويمثل الخطاب التربوي ظاهرة موضوعية و فنية لها حضورها العميق و الممتد في شعر العف، الأمر الذي يوحى بسعة ثقافته، و عمق إطلاعه و فهمه للواقع الذي انعكس على لغته الشعرية، و صورته الفنية، و المتأمل لمرجعيات الخطاب التربوي يجد الشاعر مشدوداً إلى فضاء

د. محمد كلاب

القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتاريخ الإسلامي الذي نهل من كنوزه المعرفية، وآفاقه الفكرية، وقيمه التربوية ثم استثمرها داخل نسيجه الفني، فمنحه فضاءً دلاليًا وجماليًا واسعاً مد جسور التواصل بين الماضي والحاضر، وبذلك وجد العف في المصادر المتنوعة لخطابه التربوي نبغاً غنياً بالنماذج والمواقف والرموز التي أسعفته للتعبير عن تجاربه المعاصر، فأضفت على قصائده الصبغة الإسلامية التي تربي عليها منذ نعومة أظفاره.

كما تراوح تعامل العف مع مرجعيات خطابه التربوي بين الاستدعاء المباشر عن طريق ذكر الاسم، أو اللقب، أو القول، أو الموقف، وبين الاستدعاء غير المباشر عبر استخدام تقنيات الإشارة و الرمز، بحيث تتيح للمتلقي إمكانية استنطاق القيم التربوية التي تستمد روعتها من مرجعياتها، وتتجدد قيمتها من الأثر الفعال الذي تتركه في وجدان المتلقي.

وقد تنوعت الحقول المعرفية والمرجعيات الدلالية للخطاب التربوي في شعر العف بين مرجعيات تراثية على اختلاف أنواعها، ومرجعيات معاصرة على تباين أصولها وتنوع علاقاتها؛ وبذلك يمكن دراسة مرجعيات الخطاب التربوي من خلال محورين:

أولاً- مصادر تراثية.

ثانياً- مصادر ومعاصرة.

أولاً- المصادر التراثية:

شكلت المصادر التراثية الإسلامية مرجعية دلالية وجمالية لها حضورها القوي والفاعل في شعر الدكتور عبد الخالق العف؛ ذلك لقدرتها على النهوض بتجاربه، والتعبير عن قيمه الفكرية والروحية، والتفاعل مع الوجدان الجمعي للأمة، فالمصادر الدينية عادة ما "تشبع الإنسان وترضي رغبته في المعرفة، بما تقدمه من تصورات لنشأة الكون، وتفسير سحري لظواهره المتنوعة" (عاطف جوده نصر ، 1978: 35)؛ لذلك عكف العف على امتصاص الثراء الدلالي والجمالي للمرجعيات الإسلامية من خلال استدعاء مواقفها، ومحاورة شخصياتها، واستثمار معطياتها ثم توظيفها توظيفاً فنياً للتعبير عن قيمه التربوية.

وانطلق العف في استثماره لمرجعيات الخطاب التربوي من عمق إيمانه بقيمها الفكرية، والروحية، وفعاليتها في الوجدان الجمعي، لما تتميز به من طابع قداسي، وطاقت دلالية وجمالية عميقة الصلة بنسيج الواقع المعاصر، وامتلاكها لطاقت تعبيرية مؤثرة أكسبت قصائده بعداً تاريخياً، وعمقاً حضارياً، وأصالة فنية منحت الصور الشعرية قدرة على الإفادة من الحقول

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

المعرفية المتباينة الزمان والمكان، و المزاجية بين التراث والمعاصرة، بين الماضي والحاضر في نسيج فني متلاحم يعبر عن القيم الإنسانية السامية.

وقد عمد العف إلى استثمار المصادر الإسلامية ؛ لتوظيف روافدها الفكرية والروحية بغية البحث عن صور فنية ولغة إيحائية، وموسيقى تعبيرية تكون معادلاً موضوعياً لانفعالاته، يوحي من خلالها بمضامينه التربوية التي تعمق الإحساس لدى المتلقي بأهمية الأدب الهادف ودوره في بناء المجتمعات والنهوض بالأمم.

و تمثل المرجعيات الإسلامية مادة دينامية حية، أسهمت في التكوين التربوي للعف الذي قرأها قراءة واعية وتعامل معها على مستويين : مستوى تأثري بأساليبها، وصورها ومعانيها، ومستوى توظيفي لنماذجها، ومواقفها وأحداثها؛ لذلك حظيت المصادر الإسلامية بحضور فاعل في قصائد الشاعر؛ لقرابها من ذاته والتصاقها بوجدانه وقدرتها على التعبير عن قضاياها وهمومها. والمرجعيات التراثية من أكثر المرجعيات حضوراً في متن الخطاب التربوي؛ لغزارتها الدلالية، وكثافتها الإيحائية وقدرتها على التعبير عن قضايا الواقع، وشدة تأثيرها على المتلقي لقداستها، وعراقتها، وإضافتها طابعاً حضارياً يمكنها من التعبير عن متناقضات العصر، واستيعاب مفارقات الواقع التي تولد لدى المبدع إحساساً بالغربة وبجفاف الحياة المعاصرة، ونمطيتها وتعقيدها، يدفعه إلى الهرب من هذا الواقع، ونشيدان عالم أكثر نضارة وأكثر بكاراً و أكثر سذاجة و عفوية في نفس الوقت وكان ينشد هذا العالم في أحضان التراث " (علي عشري زايد ، 1998 : 54)، الذي يرتد إلي ينابيعه الثرة ؛ لينهل من قيمه الفكرية والروحية التي تخصب رؤاه الفنية، فتمكنه من فهم الواقع واستيعاب مفارقاته.

ثانياً- المصادر المعاصرة:

يمثل التاريخ الإسلامي المعاصر بمواقفه، ونماذجه، وأحداثه، رصيذاً معرفياً و ثراءً دلاليًا للعف الذي استثمر من معطياته ما يعينه على تأكيد خطابه التربوي وتعميقه في وجدان المتلقي؛ مما جعله أكثر حضوراً في الوجدان العربي والضمير الإنساني، وأشد تأثيراً في الذات المتلقية بما يحمله من قيم تربوية بناءة.

وقد عبر العف في خطابه التربوي عن واقعه الذي يعيشه بدقة وصدق و وعي؛ لأن " العقل لا يغيب عن أي إبداع وإلا أصبح هذياناً " (صابر عبد الدايم ، 1983 : 83)، لا يرقى إلى مستوى الإبداع الهادف، ولذلك فإن تغيب العقل أو الابتعاد عن هموم الشعب وقضايا الأمة أو التعامل مع القيم التربوية بوصفها حيزاً معرفياً معزولاً عن الواقع من شأنه أن يهبط بمستوى الأدب، ويذهب بكنوزه المعرفية؛ فيجعله أدباً مفرغاً من قيمه التربوية.

وبذلك شكل الواقع مادة دينامية حية امتاح منها العف صورته، ورموزه؛ فغير من خلاله عن قيمه التربوية، وصور الشاعر هنا ليست ترجمة جامدة للواقع ولا تصويراً لظواهر فردية منعزلة عن المجتمع، وإنما هي عكس لظواهر جماعية اتسمت بالحيوية، والفاعلية؛ فشكلت عملية تكاملية للحياة، وهذا يجعل " القارئ دائماً على وعي بأن العمل الأدبي ليس الواقع نفسه ولكنه شكل خاص من أشكال انعكاسه" (رامان سلدن ، 1988 : 55)، يوحى أكثر من مظاهره المرئية ويفصح عن فكر عميق، وخيال واسع ، ورؤية خصبة.

وبذلك تكون علاقة العف بواقعه علاقة جدلية قائمة على التفاعل بين العالمين: الداخلي والخارجي، والذاتي والموضوعي، وهذا التفاعل يعمق التجربة ويزيد من أهميتها ويبرز مصداقيتها، " إذ لا يمكن للأدب والفنون أن تكتسب سمات العمق والأهمية والصدق إلا من خلال قدرتها على معايشة القضايا الإنسانية" (محسن الموسوي، 1972: 10)، التي تزيد من عمق الرؤية الشعرية، وفاعلية القيم التربوية، وشمولية النزعة الإنسانية، ومن هنا لا يمكن فهم النتائج الإبداعية للعف إلا من خلال النظرة التكاملية للنص التي تجمع بين الذاتية والموضوعية بين الداخل والخارج، وتكون " ثمرة صيرورة نظام تتربط فيه التجارب الشخصية والوقائع والقيم والدلالات وتتجسد في جهاز لتشكل شيئاً واحداً و تتمثل فيه " (امبرتواكسو، 1987:84)، ويكون هذا الشيء هو محور التجربة الشعرية، وجوهر المضامين التربوية.

إن اختيار العف لمرجعيات خطابه التربوي لا يتم بطريقة عشوائية، إنما بطريقة فنية تتبع من داخل حساسيته الشعرية، وتتسجم مع حالاته الانفعالية وتكون ذات سمات دالة على التعبير عن أفكاره، وقادرة على تحقق التفاعل الخلاق بين الذات المبدعة والموضوع، مع النهوض بتجاربه، ولها حضورها الموضوعي العميق في التجارب الإنسانية مما يخلق علاقة تفاعلية بين المرجعيات المعرفية وموضوع العمل الفني.

لذلك لم يكن ظهور الخطاب التربوي في شعر العف ظهوراً طارئاً عفويّاً، ولا حليلة خارجية يزين بها قصائده، بل هو رؤية نابغة من صميم تجاربه وترتبط ارتباطاً قوياً بالمرجعيات الإسلامية التي تربي عليها وانطلق من تصوراتها، واستثمر كنوزها الروحية، وحقلها المعرفية ضمن علاقات تبادلية خصبة أثرت تجاربه المعاصرة ؛ فأكسبتها طابعاً شمولياً، وبعداً حضارياً، وعمقاً وجدانياً.

إن وعي العف بأهمية القيم التربوية المتمثلة في مرجعياته التراثية و المعاصرة وإيمانه بها وإحساسه بثرائها، وخصوبتها وقدرتها على التعبير عن قضايا شعبه وهموم أمته، جعله يفسح المجال واسعاً أمامها للانسراب في نتاجاته الشعرية للإفادة منها وإضفاء نوع من الموضوعية

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

والدرامية على قصائده، مع توظيف شخصياتها ومواقفها كمعادل موضوعي يبيث من خلالها آلامه وآماله، وذلك ضمن علاقة جدلية بين التراث والمعاصرة تكشف عن القيم التربوية السامية وسبل ترسيخها في وجدان المتلقي.

إن إدراك العف لفاعلية الخطاب التربوي مكنه من تجاوز الحدود الزمانية و المكانية لمرجعياته الفكرية والروحية، بالارتداد إلى الماضي لفهم معطياته، وعيش الواقع الراهن لإدراك أبعاده، واستشراف المستقبل وتلمس آفاقه؛ وبذلك ظل الخطاب التربوي لدى العف مفتوحاً للحوار والنمو بصورة تلتقي فيه التجارب، وتتفاعل فيه القيم بغية تعميقه مع ربطه بتجارب إنسانية تحقق له نوعاً من الأصالة و الشمولية.

وإن التعبير الفني عن القيم التربوية لا يكون بمجرد التقاطها ثم صياغتها بأسلوب شعري، وإنما يكون بتمثل تجاربها، واستيعاب دلالاتها، وإدراك أبعادها؛ لأن " الذي يعطي العمل الفني كيانه ويحدد قيمته هو تجارب الفنان الفنية، وعقله الخالق وقدرته على الابتكار ومدى محافظته و استيعابه للقيم الفنية والتقاليد الأدبية الموروثة والمتداولة عند معاصره وسابقيه " (محمد العشماوي، فلسفة الجمال، 1981: 39).

وبذلك تكون علاقة العف بمرجعيات خطابه التربوي قائمة على فاعلية الاختيار والعزل، والارتداد والامتداد بما يتوافق مع طبيعة تجاربه وحقيقة انفعالاته، وتلك الفاعلية ما هي إلا انعكاس لوعي الشاعر بالماضي، وفهمه للحاضر، واستشرافه لآفاق المستقبل بعيداً عن تسجيل مواقفه وتدوين معطياته بصورة مباشرة.

لذلك لا يمكن إدراك العمق الدلالي للخطاب التربوي إلا من خلال فهم المستوى المعرفي الذي انتزعت منه معطيات الخطاب، والمستوى السياقي الذي وضعت فيه؛ لأن القوة الدلالية والجمالية للخطاب التربوي تنبع من قوة مرجعيته المعرفية، و قوة التوظيف الفني داخل نسيج النص ومدى قدرته في الانفتاح على آفاق دلالية تتجاوز الحدود الزمانية، والمكانية فتدخل ضمن علاقات جديدة تجعلها أكثر قدرة على التعبير عن روح العصر.

وقد شكل الخطاب التربوي على تباين مرجعيته و تنوع دلالاته مصدراً إلهامياً، و محوراً دلالياً، و معجماً إيحائياً، و مرجعاً معرفياً، لكثير من المعاني و المضامين التي استوحاها العف في صوره الشعرية، محاولاً النفاذ والانفتاح على آفاق تربوية تمكنه من تعميق تجاربه ثم الخروج بها من دائرة الذاتية و الغنائية إلى فضاء الموضوعية و الدرامية، وتقنياته الفنون المسرحية، و القصصية، والروائية، كالحوار و السرد و تعدد الأصوات؛ للنهوض بتجاربه المعاصرة.

والعف لا يلجأ إلى مصادر خطابه التربوي عاكساً محتوياتها، ولا حاشداً لنماذجها ومواقفها بصورة عشوائية و إنما يختار من معطياتها ما يتناسب مع طبيعة انفعالاته وتجاربه وينسجم مع رؤاه التربوية؛ لأن معطيات الخطاب التربوي متجددة الدلالة يتباين توظيفها من مبدع إلى آخر، ومن قصيدة إلى أخرى، كما تختلف دلالاتها حسب طبيعة التجربة المراد التعبير عنها والزاوية التي ينظر منها إلى تلك المعطيات.

وتكمن براعة الشاعر في امتلاكه لمصادره، وقدرته على صياغتها صياغة فنية تعبر عن قضايا الواقع وهموم العصر، مع حرصه على إكسابها موقفاً درامياً، وعمقاً إنسانياً، وبعداً حضارياً، يكشف عن طاقاتها التربوية وقدراتها الإيحائية.

وبذلك شكلت مصادر الخطاب التربوي بمواقفها ونماذجها وأحداثها رصيماً معرفياً وثناءً دلاليًا قوياً مكن العف من استثمار معطياتها؛ للتعبير عن قضايا الواقع وهموم العصر، وبمقدار خصوبة مرجعيات الشاعر وامتلاكه لأدواته الفنية وبراعة وسائله التعبيرية، تتباين رؤاه التربوية، وتتعدد أبعاد خطابه التربوي ما بين الأبعاد الروحية، والأخلاقية، والوجدانية، والاجتماعية، والحضارية، والإنسانية، والسياسية، دون أن تفقد تلك الأبعاد وحدتها و تلاحمها داخل نسيج النص، و تتفاعل داخل تلك القيم التربوية مجموعة من الأبعاد النفسية، و الفكرية، كما تتمازج تمازجاً عميقاً بحيث يرخي كل منهما ظلالة على الآخر، و يبدو أن الأبعاد السياسية أكثر الأبعاد تجلياً في الخطاب التربوي، و هذا يرجع إلى طبيعة التربية الجهادية التي يحرص عليها الشاعر. إن إدراك الأبعاد الدلالية الجمالية للخطاب التربوي في شعر العف يحتاج قارئاً ملمماً بالتراث ومطلعاً على الأفكار و الرؤى و التصورات الإسلامية؛ لأن العف لا ينطلق في تجاربه الشعرية من فراغ و لا يؤول إلى فراغ بل ينهل من مصادر إسلامية، و ينطوي شعره على قيم تربوية يسعى إلى ترسيخها في وجدان المتلقي، لتتيح له إمكانية استيعاب متغيرات الواقع وفهم مفارقاته و التغلب على همومه.

أبعاد الخطاب التربوي في شعر الدكتور عبد الخالق العف:

تنوعت وسائل العف التعبيرية بين تقنيات حوارية، وأخرى سردية، و بمقدار تنوع أدوات الشاعر الفنية، و براعة وسائله الشعرية تعددت أبعاد رؤيته للخطاب التربوي وتنوعت بين الأبعاد الروحية، و الأخلاقية، والوجدانية، والاجتماعية، والحضارية، والإنسانية، والسياسية، دون أن يفقدها ذلك التنوع وحدتها، و تلاحمها، أو يبعدها عن الإطار العام للرؤية الشعرية.

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

أولاً- البعد الروحي:

أظهر الخطاب الروحي في شعر العف الجانب العقائدي و التعبدي للشعب الفلسطيني كما كشف عن طبيعة الإيمان المتجذر في وجدانه الذي يزداد في المحن و الشدائد و يدفع صاحبه إلى التوجه إلى الله بالدعاء، و التضرع إليه بطلب الرحمة.

فالتربية الروحية جاءت لتتير القلوب، و تحرر العقول من التبعية و العبودية، و تنشئ الأجيال على سلامة العقيدة، و قوة الإيمان، على نحو ما يتجلى في قول الشاعر: (العف: 67)

من أي كف في السماء تألق	حجر يطول أفقنا و يحلق
رعد يزلزل صمت أمتنا التي	هانت فليس لها بنود تخفق
هذي بشائر ثورة قدسية	كالصبح من ديجورنا تتفلق
تبني معالمها بفتية مصحف	تعلى سوامقها بمجد يورق
طفل يحار العقل في إيمانه	بطل يغامر بالحياة و يسبق
فتراه كالبركان يعصف كاللظى	لهبا يذيب الغاصبين و يصعق
في كفه شهب من روحه قبس	نبض الشهادة في الدما يتدفق
فاستقبلي يا قدس مجدا قادمًا	ليعيد فجرا للعلا يتشوق
وتهللي يافا بمولد ثورة	ترقى بنبض عقيدة لا تنتق
هذي بلادي أشرقت أرجاؤها	وترابها بشذى الشهادة يعبق

رسمت هذه الأبيات صورة للجيل الجديد؛ جيل الصحوة الذي تربي على موائد القرآن والسنة النبوية؛ فتميز بالنقاء، و التآلق و معرفة طريق الجهاد و الاستشهاد؛ فبهر العالم بقوة إيمانه، و شدة ثباته، و رغبته في المقاومة و عدم الاستسلام، و قد تضافرت صورة الطفل مع المصحف و الإيمان و العقيدة؛ لتلقت اهتمام المتلقي و تجذبه إلى سر قوة هذا الجيل، و توحى بما حققته الأجيال المسلمة من انتصارات على مر التاريخ، هذا ما أوحى به القصيدة من عنوانها (فيالق التحرير) الذي اكتنز دلالات خصبة، و رموز مشعة بما حققته الفيالق الإسلامية من انتصارات بفضل التربية الروحية و الموائد القرآنية.

و قد عزز الشاعر فكرته حول نشوء جيل الصحوة بإبراز ملامح التفاؤل بالواقع الجديد القائم على زنود فتية آمنوا بربهم، فحرروا من عقدة الخوف، و عشقوا الشهادة، و عرفوا طبيعة رسالتهم في الحياة، و تتجلى هذه الملامح في قول الشاعر: (العف: 49 - 50)

ففاحت عبيرا دماه الزكية

و فاظت دموعي

د . محمد كلاب

و ثارت ضلوعي

تناديه : رامي

مضيت شهيدا كما تشتهي

و حلقت في الأفق بين النوارس

ترجلت عن سهوات الحياة

و قد كنت فارس تلك الجباه

تغذ خطاك لدرج النجاة

مضيت بعيدا .. بعيدا

تعانق روحك وجه الحقيقة

و تلقي بمرساة حلمك

في لجة الخالدين

...

...

و صاح المثلث خلفي : تعال

فرامي يشد إليها الرحال

إلى جنة يبتغيها الرجال

فقلت : هنيئا .. إلى الملتقى

و ألحقنا الله بالصالحين

يكشف هذا المشهد عن ثمار التربية الروحية وهي (الجنة) التي يضحي من أجلها الشهداء، حيث يعمل المسلم ليل نهار للفوز بها، و ذلك من خلال الحوار الدرامي الذي أقامه الشاعر في النص بغية جذب اهتمام المتلقي و وضعه أمام الغاية الأسمى ألا وهي الشهادة في سبيل الله، الطريق الموصل إلى الجنة للقاء الصالحين، و تقريب الجهاد و التضحية و الاستشهاد إلى وجدانه من خلال إبراز المكانة التي يحظى بها الشهيد و الغاية التي يبتغيها و هي النعيم بالجنة برفقة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- وصحبه، و كأن الشاعر يستحضر ما ورد في القرآن الكريم من وعد الله للشهداء؛ مما حفز الشاعر على عشق الشهادة وأغراه بحب الشهداء، لذلك كان الشهيد عنواناً لكثير من قصائد العف و محوراً للعديد من صورته، و نلمس ذلك في قصيدة (أحمد) التي يقول فيها: (العف: 85)

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

يا قوم عز من الفراق تجلدي
ثارت شجون الروح حتى خلتها
أنى تغيب و في شرايين الثرى
أنى تغيب و في ترانيم الورى
حور الجنان تهيأت لعريسها
حملته للجنات يعبق طيبه
جرح هنا عرس هناك فزرغدي
فتدافعت أرواحهن صواديبا
قد سرت نحو الشمس تمنحها السنا
وصعدت في درجاتها حتى إذا
يا زهرة البركان يا بدر الدجى
ها قد ترجل فارس عن صهوة
قاد الأنام إلى العلابجهاده

هل أطفنت في الصبح جنوة أحمد
فجرت عيوننا في القلوب الجلمد
دمك الطهور يثور ملء المرقد
ألقيت لحن العابد المتهدج
زفته بعد طراوة الفجر الندى
كف الملائك عند باب المسجد
وتضوئي لا تحفلي بالحسد
يرشفن من كأس النعيم السرمد
والشهب تدنو من ضياك وتغدي
جئت النجوم نزلت فوق الفرقد
أنعم فديتك بالرضا والسودد
فبكت ظهور الخيل جلسة أحمد
فتوهجت أنوارهم بالمرشد

استحضر الشاعر في هذا المقطع صورة الشهيد أحمد ياسين-رحمه الله- محتفظاً بلامحها المعاصرة، مستثمراً قساماتها بما يتماهى وخطابه الروحي- (دمك الطهور، ألقى لحن العابد المتهدج، حور الجنان تهيأت لعريسها، حملته للجنان يعبق طيبه...) _ مستخدماً الخطاب المباشر إلى الشخصية، ومستحضراً صورة الشهيد على المستويين: المادي، والمعنوي مضمناً عليها ظلالاً روحانية تنبع من إيمانه بأن الشهيد حي عند ربه، في حين وموته فيه حياة للأمة، ودمه الطهور يبعث الحياة و الأمل في وجدان الأجيال، وهذا الإيمان المتجذر في وجدان المبدع نابع من وعيه العميق بقوله تعالى: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" (آل عمران: 169)، الذي يكشف استمرارية حياة الشهيد وحضوره الروحي رغم غيابه الجسدي.

وقد عمد الشاعر إلى تكرار (أنى تغيب)؛ ليعبث من خلاله مشاعر مفعمة بالحب والوفاء للشهيد، ليوحى بالمنزلة الرفيعة التي يتمتع بها الشهيد في الدنيا و الآخرة، وكأن الشاعر أراد أن تبقى صورة الشهيد مرسومة في الذاكرة، و أصداء أقواله و أفعاله تتردد في أذن المتلقي حتى بعد انتهاء القصيدة، وبذلك اتخذ الشاعر من فاعلية التكرار مدخلاً للولوج في وجدان المتلقي والتأثير فيه من خلال إبراز المكانة العظيمة للشهيد والكشف عن رسالته النبيلة، واتخاذها محوراً للقصيدة و إطاراً كلياً لها.

لقد كشف الخطاب الروحي حالة الطمأنينة المستقرة في وجدان الشاعر بنصر الله، لذلك أكثر العف في قصيدته (ثورة النساء في قلعة الرجال) من التوجه إلى الله بالدعاء بالنصر والتمكين بقوله: (العف: مخطوطة)

ويا رب نصرك للماجدات
تقبل إلهي دماء الحرائر
ودمر إلهي قلاع اليهود
في جنة الخلد طيرا تعود
منارة مجد تنير الوجود
وتبقى مشاعل حق وعدل

من يقرأ هذه المناجاة التي يتوجه بها الشاعر إلى الله يدرك عمق إيمانه بالقضاء والقدر، وقوة يقينه بنصر الله؛ لذلك استخدم أسلوب النداء وسيلة للروح بما يجيش في وجدانه من عواطف روحانية لعل الله يتقبل الدعاء؛ فيمنحه النصر والتمكين في الدنيا، والرضا والقبول للشهداء في الجنة.

وإن عمق المعاني الروحانية المتمثلة في الجهاد والاستشهاد دفعت الشاعر نحو امتصاص قوله تعالى: " وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ " (آل عمران:126)، ليعلن من خلاله الثقة بنصر الله، وكذلك استثمار الخطاب النبوي الذي يرى أن أرواح الشهداء تصير في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث تشاء ثم تأوي إلى تلك القناديل [صحيح مسلم، 3/ 1502: 1887].

ثانياً- البعد الأخلاقي:

للخطاب التربوي في شعر العف أبعاد أخلاقية تهدف إلى تهذيب النفوس وبنائها على الخلق الفاضل خلق القرآن الكريم، و السنة النبوية، مع تنمية القيم النبيلة التي حث عليها الإسلام، وتخلق بها الصحابة الكرام، وذلك ضمن بنية فنية تتكاثف فيها اللغة الشعرية، والصورة الفنية، والإيقاع الموسيقي، بغية الإحياء بالقيم الأخلاقية والجمالية للخطاب التربوي الذي يتصدى بكل طاقاته الأخلاقية، وقيمته التربوية، وأبعاده الإسلامية للأدب الهابط، وبتلك الطاقات البناءة للكلمة والإحياء الصادقة للصورة تتحقق عالمية الأدب الإسلامي وتسمو منزلته بين الآداب.

إن انتماء الشاعر للإسلام واستيعابه الواعي لقيمته الأخلاقية منحه يقيناً راسخاً بأصالة الخطاب التربوي وعراقه مرجعياته التراثية، و " الأديب المعاصر الذي يفقد اتصاله بتاريخ قومه، وتراث أمته، لا يصلح بحال ما أن يعبر عن وجدانها المعاصر، ولأن فقدان وعيه لشخصيتها يجعله أجنبياً عنها، غريباً عليها " (عائشة عبد الرحمن ، 1970: 165)، لا يستطيع أن يعبر عن همومها، أو ينهض بقضاياها، أو يسير بها نحو الأخوة، والتسامح، والصبر، والثبات.

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

وقد استلهم العف في قصيدته " يا حادي الركب " التاريخ الإسلامي واستدعى من نماذجه، ومواقفه، وأحداثه ما يتماهى مع تجاربه المعاصرة، وقد وظفها توظيفاً إيحائياً بغية رفق تجاربه بقم أخلاقية من شأنها تعميق خطابه التربوي وإكسابه أفقاً حضارياً، وعمقاً تاريخياً، وبعداً إنسانياً، يمد جسور التواصل بين الماضي والحاضر، على نحو ما نرى في قوله: (العف:73)

إن الأوائل خطوا بالدماء لنا معالم الحق والإسلام قد نصرنا
لولا السوامق شادتها أوائلنا من المبادئ لم يعرف لنا أثر
هل أورك المجد إلا من سيوفهم أو ارتوى قط لولا غيظهم ثمر
فلنقتف الدرب إن العودة مكرمة ولنخلص العهد إن الحق منتصر
قد آن يا أمي أن نقتفي علما للحق فالثأر في الوجدان يستعر
فحظمي القيد والأغلال في جلد فالقيد بالصبر والإيمان ينكسر
ولنملا الساح بركاننا وتصلية حتى نذيق لنا ما طالما مكروا

يستلهم الشاعر في الأبيات السابقة القيم التربوية الواردة في قوله تعالى: " وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ " (النحل:91)، أيضاً في قوله تعالى: " وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ " (البقرة: 45)؛ بغية تسليط الضوء على الأخلاق الفاضلة التي حث عليها الإسلام والمتمثلة في الإخلاص، والصبر، والإيمان، مع إبراز أهميتها في التربية الجهادية، فالإخلاص في العهود والمواثيق والقول والفعل، والصبر في الشدائد، والإيمان بوعد الله، هي القيم التربوية التي يسعى العف إلى ترسيخها في وجدان المتلقي؛ ليتخلق بخلق الأوائل الذين خطوا بدمائهم وبطولاتهم معالم الدولة الإسلامية، فتغلبوا بصبرهم وثباتهم على القيود والأغلال التي تكبل الأمة الإسلامية، فتحول دون انطلاقها نحو مستقبلها المشرق، فالقيود لا تنكسر إلا بالصبر، والنصر لا يتحقق إلا بالإيمان بوعد الله.

وقد تأمل الشاعر التراث الإسلامي واستدعى منه شخصيات ذات مواقف تتسم بالصبر، و الإخلاص، والوفاء، والرشد و الثبات على نحو ما نرى في قوله: (العف:62)

يرتل سورة النصر الأكيد	على أسوار أقصانا بلال
برغم القيد تزار كالأسود	وفي ساحاته تغدو جنود
جنى الأنفال أو قصف الحديد	سواعد يزرع الإيمان فيها

وتملأ سورة الإسراء قلبا
هو القرآن يملؤنا ثباتا
يجذر في جوانحنا يقينا
وصدقا قد تزياه عتيق
وذو النورين يعلوه حياء
علي كرم الله المحيا
نجوم في سناء الكون تزهو
فياليت الإله يعيد فينا
فتغدو راية الإسلام عليا

تولّيه بالنعيم وبالخلود
يرتل آيه نبض الوريد
وسيفا يزدهي بابن الوليد
وفاروق العدالة والعهود
يزين هامة الرجل الرشيد
بليغ علمه وسع الوصيد
تضيء بنورها رحب الوجود
زمان المجد في عهد الصعود
وهوجاء الهزائم في ركود

استثمر الشاعر في هذه الأبيات شخصية بلال مؤذن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليستحضر من خلاله قيم الصبر، والتحدي، و التضحية، والفداء، وكذلك شخصية خالد بن الوليد؛ ليستحضر من خلالها قيم الشجاعة، والثبات، و أيضاً شخصية الفاروق؛ ليستحضر من خلالها الصدق، والعدل، والوفاء، بالعهود، وشخصية ذي النورين؛ ليستحضر من خلالها الحياء والرشد، وكذلك شخصية علي بن أبي طالب ليستحضر من خلالها البلاغة وسعة العلم والمعرفة، وقد استثمر الشاعر من الملامح التراثية لتلك الشخصيات، ما يتماهى مع تجربته الشعرية والقيم الأخلاقية التي يريد بثها في وجدان المتلقي، مستخدماً السرد والحديث المباشر إلى الشخصيات، مثيراً ظلالاً و ألواناً تربوية تنبع من عقيدتهم الصادقة وتمسكهم بالقرآن الكريم.

إن التناص الذي استثمره العف في خطابه الأخلاقي يوحى بسعة إطلاعه على التراث الإسلامي، وعمق علاقاته بكنوزه المعرفية و الاستفادة منها ضمن أنساق تعبيرية متعددة توحى بخصوصية تجربته الشعرية، وأصالة خطابه التربوي، وقدرته على مواكبة تطورات القيم الأخلاقية داخل المجتمع الفلسطيني.

إن توظيف الشخصيات الإسلامية المشرقة واستثمار مواقفها التربوية المتميزة يسمو بالقيم الأخلاقية، فيمنحها بعداً تأثيراً؛ لما للشخصيات الإسلامية والمواقف التراثية من أثر على وجدان المتلقي؛ وذلك لقداستها وشدة تأثيرها على وجدان الجماهير، وقدرتها على صناعة الرجال أصحاب الهمم العالية، و الإرادة الصلبة، والعزيمة القوية، الذي رسم لهم الشاعر صورة مشرقة بقوله: (العف: 69 - 70)

هذه الثورة كنا طالبها
قد ترقبنا سناها من زمان
نشحذ العزم شيوخا وشبابا
وحسبنا النور في الأفق سرايا

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

فتراءى فوق كئيبان الليالي	قبس أزهر الأرض البيباب
وتهادى في سماء المجد نجم	يقذف الطاعين في الأرض شهابا
يصنع النصر بعزم ومضاء	يرسم الفجر سهولا وهضابا
نفحات من شذاه قد أطلت	تغمر الكون جمالا وانسيابا
يستقي من نبع إيمان وصبر	يبذل الروح جهادا واحتسابا
وبصدر عامر بالحق تغدو	زفرات الحر للصدر إهابا
راعه القيد وذل الاحتلال	وسلب الأرض قهرا واغتصابا
فتنادى يا جنود الحق هيا	نرهب المحتل رفضا وانقلابا
ونذيق البغي ألوان المنايا	ونتذلل الهام منهمم و الرقابا

يركز العف في هذا النص على ثمار التربية الإسلامية المتمثلة في العزم الأكيد على مقاومة الاحتلال، والصبر الشديد على ظلمه وبطشه، و الإيمان العميق بالتضحية والنصر، والإخلاص الفريد في القول والفعل، حيث تكتسب هذه القيم الأخلاقية قوتها؛ بتغلغل الحق، ورسوخ الإيمان في نفوس أصحابها؛ فتخلق لديهم إصراراً على تحدي الاحتلال بعزيمة قوية، و إرادة لا تنكسر، ومهما خطط المحتل لتدمير المجتمع الفلسطيني ستبقى القيم الأخلاقية عوناً للحفاظ على الشخصية الإسلامية، والهوية العربية، والحقوق الفلسطينية.

ثالثاً- البعد الوجداني:

يقوم الخطاب الوجداني في جوهره على كشف حقيقة الذات المبدعة و إبراز عمق إحساسها بالوجود، ومواقفها اتجاه الواقع و قضاياها، فالإبداع صورة الوجدان، و ترجمان الأحاسيس، و فيض الشعور، و مرآة الذات المبدعة التي تمتد لتعبر عن نوات الآخرين، وتصبح المشاعر الخاصة مشاعر إنسانية عامة، تتمازج في وجدان المبدع امتزاجاً يكاد يتحد فيه الداخلي بالخارجي، و الفردي بالجماعي، و الذاتي بالموضوعي؛ ليشكل صوراً فنية، ومعجماً شعرياً يتسم بالجدة، و العمق، و الثراء، و يعبر تعبيراً صادقاً عن أحاسيس المبدع، وانفعالاته، وعن القيم الإنسانية البناءة.

ورغم الخصوصية التي يتسم بها شعر العف إلا إنه لا يركن إلى العزلة والوحدة، بل ارتبط وجدانه بهوم شعبه وقضايا أمته، وسعى إلى تحقيق ذاته في واقع اجتماعي يتحرك من خلاله؛ ليكتشف العالم الذي يعيش فيه، لذلك نجده لا يخفي حزنه على الواقع الذي يعيشه والحال الذي آلت إليه الأمور، بل يبوح بحزنه من خلال قوله: (العف: 17-18)

عشبة في قبضة الريح تنن

د . محمد كلاب

خنجر في الروح
في قلب المدينة
عوسج متربع في الحلق
يقتلع الزفير
نوء ضيم أو تنائي هجرة
أيها السرب بالكسر
هل تغذ الخطو نحو الشمس
أم تقتاد خطوك
رعشة الموت الأخير
بجناح نورسك المهبض
قوادم كسرت
وأنت السواقى تستجير
لكن غصة صمتنا قتلت بقاياتنا
وأوهننا المسير.

يتشح هذا المقطع بالمرارة ويغلب عليه الحزن نتيجة المآسي التي ألمت بوطن الشاعر، والمعاناة التي حلت بشعبه، والمؤامرات التي أضاعت حقوقه، ويستمرى العف أحزانه ومرارة واقعه عندما يخاطب الشهيد (عماد عقل) قائلاً: (العف: 38-39)

يا فارسا ألف الصعاب
يمناك تختزل المسافة
بين حلمي والزمن
فأرى رداء النصر
ينسجه سلاحك
راية للمجد من خيط المحن
والزند يحتضن الزناد
محاكيا ذاك العناق المشتهى
بين المقاتل والوطن
قم يا عماد

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

واقراً علينا الزلزلة

نحن الغفاة من الكهوف

نحن الطيوف

نحن الرفات المهمة

نحن السحابات العقيمة

فلتهبنا الاتهمار

قبل أن يسود في دمنا النهار

كشفت هذه الأسطر الشعرية حال الأمة الإسلامية وما أصابها من محن أحاطت بها من كل جانب، ووسط هذه الحالة المتردية يظهر الشاعر قدراً كبيراً من الإيمان يجعله أكثر يقيناً وأشد ثباتاً، وذلك من خلال استحضار الدلالات القرآنية المتمثلة في سورة الزلزلة وما نثيره من بواعث إيمانية، وكوامن روحانية توحى بقوة العلاقة بين المسلمين والقرآن الكريم، وبما حققوه من عزة ونصر، وقد تضافرت هذه المعاني داخل النسيج الفني للنص؛ لتجذب اهتمام المتلقي وتنبهه إلي سر القوة في زمن الانكسار، وتوحى بأن حزن الشاعر لم يورث لديه يأس، بل أئنع عزماً أكيداً، وإصراراً عنيداً على مواصلة درب الجهاد، وإشعال نار الثورة

فالحزن مكوّن أصيل من مكونات الوجدان الفلسطيني الذي طرد من أرضه، وسلبت حقوقه، ومارس الاحتلال ضده أبشع أنواع القتل والتعذيب، إضافة إلي تضحياته ومعاناته من أجل دحر الاحتلال و نيل الاستقلال، ويزداد حجم الإحساس بالحزن بمقدار ما يتمتع به الإنسان من حساسية، ولما كان الفنان يتمتع بحساسية عالية فمن الطبيعي يكون إحساسه بالحزن أعمق، لهذا نجد الحزن ملماً من ملامح رؤية العف الشعرية التي تبدأ من عنوان ديوانه: (شدو الجراح) مروراً ببعض القصائد التي يضيف الحزن عليها بظلاله الشفيفة أحياناً والكثيفة أحياناً أخرى.

ورغم ارتفاع نبرة الحزن والمرارة و الألم في بعض القصائد إلا أن الشاعر لم يترك الحزن يسيطر على وجدانه، بل سعى إلى بث روح التفاؤل في قصائده، على نحو ما نرى في قوله: (العف: 15)

برغم الحصار وريح الدمار

فإن النوارس تمضي بعيدا

وتدنوا لترقب فجرا وليدا

وهذا يوحي بعدم استسلام الشاعر للحزن بل حرصه وغيرته على الوطن، و إيمانه بالتغيير من خلال ترقبه لميلاد فجر جديد يتغلب فيه الأمل على الألم، والتفاؤل على التشاؤم، والفرح على

د . محمد كلاب

الحزن، والسعادة على الكآبة، والبناء على الدمار والخراب الذي خلفه الاحتلال، مما دفع أبناء الشعب الفلسطيني نحو البحث عن الخلاص حيث وجدوه في منارات المآذن التي عبر عنها الشاعر بقوله: (العف: 19)

أبصرت سنبله أطلت

من خراب التيه ... من جوف الركاب

أبصرت شعاع الشمس

واراه الغمام

رحل الصدى نحو المدى

في الكون متسع لأسراب الحمام

إذا تحدث عنفوان المقصلة

و انحاز سهم البوصلة ...

نحو الوطن

وأطرقت في صمت ألمم

ما تبعثر من جروح

وسمعت همسة سوسنة

ما تاه سرب في الفيافي

والمنارة مؤذنة

فالمؤذنة بكل ما تحمله من قيم روحية و دينية تيبث في النص روح الأمل، والتفاؤل، و الخلاص لأسراب الحمام التي تمردت على المقصلة، والقتل والتعذيب لا يزيد أبناء الشعب الفلسطيني إلا ثباتاً أمام عنفوان المقصلة.

ويتصاعد الخطاب التعبوي في شعر الدكتور عبد الخالق العف من خلال التحريض على

المقاومة ؛ للتصدي لمخططات الصهيونية و ذلك بقوله: (العف: 21- 22)

الريح الهوجاء التتريّة

تقتلع العشب الآمن

تصبغ بالياقوت زبرجد

و الأحمر في درب الثورة يمتد

فتشع الراية و الفرقد

و تضيء شمس الحرية

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

يصور الشاعر في هذا المشهد حجم الهجمة الصهيونية على الشعب الفلسطيني حيث وصفها بالريح الهوجاء النترية؛ والريح تتسم بالعبور وعدم الاستقرار؛ والهوجاء توحى بالعشوائية؛ و النترية توحى بالهمجية، وبالمقابل رمز للشعب الفلسطيني بالعشب المتجذر في الأرض الآمن فيها، الذي لا تؤثر فيه الريح، وقد رسم الشاعر في ذلك المشهد صورتين: الأولى للاحتلال قوامها القتل والدمار، والثانية للشعب الفلسطيني قوامها التجذر والثبات، موحياً بذلك باللون الأحمر؛ لون التضحية والفداء، والثورة والعطاء إلى قرب بزوغ فجر الحرية، ويتجلى ذلك واضحاً في قوله: (العف: 83-84)

نقسم بالثأر من المحتل عن وطن الشهداء لن نرحل

يا جرح فلسطين الدامي

يانزف جنين القسام

ستظل الراية خفاقة ونلبي في الهيجا الواجب

غزة يا رحم الشوار

ثوري في وجه الغدار

فالنصر قريب كالصبح وستشرق شمس من جرحي

وتغني للنصر كتائب وتغني للنصر كتائب

فالشاعر يتعالى على الجراح، ويصارع الألم ومرارة الحياة، ثم ينادي بالثورة في محاولة منه للتغلب على الحزن بزرع الأمل، والتفاؤل، بقرب بزوغ فجر الاستقلال وإشراق شمس الحرية، وهذا يوحي بأن الأمل صرع الأمل، وروح التفاؤل لم تفارق قصائد العف بل هي مستقرة في وجدانه، والحزن حالة عارضة في شعره، على نحو ما نرى في قوله: (العف: 24-25)

أيام كان السعد يسكننا

وتغمرنا السكينة

أيام كان القلب ينبض بالمحبة والصفاء

عذرا إليك ما عاد في قلبي مكان للفرح

ما عاد في العينين نور الارتواء

والجسم أدركه الفناء

رحماك يا وهج البريق

أرسل ضياك إلى الغريق

وابسط جناحك في صباحك

د . محمد كلاب

علها تشدو الصوادح
والجداول والسنايل بالأمل
وتكف في الوجه ارتعاشات المقل
والشعر يرتشف الرحيق
والقلب بعد الغربة السوداء
يرسي في المرافئ
في حضنك الدافئ
وتعود تزهري في روابيك السنايل
وتعود تنثال الجداول
ويشع ذياك البريق بناظريك
ويضئ إيمان الرضا في مقلتيك

نلمس في هذا المقطع حنين الشاعر إلى ذكريات الماضي بكل ما فيه من عواطف تتصل بالعلاقات الاجتماعية التي تنبض بالمحبة والصفاء، فتمد الشاعر بصور مشرقة يعيش عليها في مواجهة الصور العابسة المؤلمة التي يعيشها في واقعه المعاصر، لذلك عندما يتعذر لقاء السعادة والفرح في واقعه المعاصر، يطير إلى الماضي على جناح خياله الخصب، ويلوذ بفيض من شعاع الفرح والغبطة. وهكذا يتصارع الفرح والحزن، والسعادة والكآبة، والتفاؤل والتشاؤم، والأمل والألم في شعر العف تصارعها في الواقع، ولكن رغم مرارة الواقع وقسوته يسطح الأمل فترتفع نبرة التفاؤل؛ لتعبر عن صدق العاطفة التي امتزجت بالحزن والثورة على ما آل إليه الواقع العربي والإسلامي، وبالحب لهذا الوطن الإسلامي الكبير و الغيرة على واقعه السيئ والرغبة العارمة في تغييره وإصلاحه ، وبالتفاؤل بملامح الواقع الجديد .

رابعاً- البعد الاجتماعي:

للخطاب التربوي أبعاد اجتماعية تكمن في بؤرة اهتمام العف، يعبر من خلالها عن هموم مجتمعه، وتطلعات أمته، و متغيرات عصره ويتفاعل معها تفاعلاً حقيقياً؛ بغية معالجة قضايا شعبه، وبيان طريقة التعامل بين أفراد المجتمع، و التأسيس لمجتمع مترابط متماسك تسوده الطمأنينة والاستقرار و تظلمة الإخوة والتكافل والحياة المستقيمة السوية النابعة من تعاليم الإسلام، القائمة على صفاء النفوس، وخلصها من الحقد، وتحررها من المتناقضات التي تمزق لحمة الصف الفلسطيني؛ لذلك يوجه العف من خلال قصيدته (اتفاق مكة) خطاباً لحركتي فتح وحماس بعد توقيع اتفاق مكة يحثهما فيه على التوافق، و يذكرهما بالمصير المشترك (العف: مخطوطة).

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

أحبابنا لقد فتحنا صدرنا لتدخلوا قلوبنا
نطوي عليكم الضلوع نشعر بالأمان
ففي منارات الدروب تعانقت أنواركم
و في محارات القلوب تلامست أصدافكم
و في رحاب النور في أم القرى
بزغت شمس الاتفاق
و علا نشيد الاعتاق
من ضيعة الفرسان في تبه الشقاق
لم نختلف ؟ و نبض عروقنا و شروقنا
من وطأة المنعطف يرتجف
لما لا نتفق ؟ و تباشير الأفق
قد تراءت في سمانا
و تداعت كل أنات الأرق
و جبال اليأس من عمق أسانا تنتشق
تتعالى في هذا المقطع نبرة التفاؤل بالوفاق والاتفاق بين أبناء الشعب الواحد في أجواء
يسودها التساؤل عن سبب الاختلاف، والاحتلال ما زال جاثماً على صدورنا، وذلك في قصيدته
(اتفاق مكة) حيث يقول: (العف: مخطوطة)
لم لا نتحد؟ فالعدو المستبد
لا يفرق بيننا وقت المحن
ودماؤنا تسري دفاقا في شرايين الوطن
وحدثنا صحوة المنطلق
وتلاشى من العيون لهيب الخوف
وانتشلنا من الفرق
وبدأنا ثورة في سما العز تأتلق
و الصدى عاد يدوي ... بعدما الصوت اختنق
ترى هل سيفنا الممتشق
بعد أن كاد عدانا... يتنزي بدمانا؟

د. محمد كلاب

آه من هوة المنزلق

يحذر الشاعر في هذا المقطع من ويلات الفرقة وعدم الاتحاد؛ لأنه يمزق الصف الفلسطيني مما يجعله عرضة لضربات الاحتلال، الذي لا يفرق بين أبناء الشعب الفلسطيني، فغياب الوحدة يرسم صورة بشعة لواقع اجتماعي يسوده الخوف والتفكك، ويهدده تحطيم العلاقات الاجتماعية القائمة في أساسها على اللحمة والتعاون، داعياً أبناء الشعب الفلسطيني إلى نبذ الخلافات الداخلية والتوحد ضد المحتل، وذلك في قصيدته (اتفاق مكة) التي يقول فيها: (العف: مخطوطة) يا فارسا ألف التحدي

كفي بكفك ... نرتدي ثوب الأمان

روحي وروحك توأمان... قلبي وقلبك وردتان

لن تموت الأغنيات ... إن تهادى الجدولان من تراتيل السنابل

لن تجف الأمنيات ... إن تلاقى الرافدين في شرايين المقاتل

فدماؤك الحرى دماي ... وفلسطين انتماؤك و انتماي

قد تساقى تربها من دمعنا ... من جرحنا

واستنارت في روايبها الورود

الله ما أحلى شروق الشمس في الفجر الجديد

الله ما أحلى ترانيم التوحد في النشيد

وأرق من بسمات شيخ أو عجوز أو وليد

الله ما أحلى ابتسامه روحه

ذاك الأسير... وذا الجريح ... وذا الشهيد

فالشاعر هنا يطالبهم بالوحدة الوطنية؛ لأنها سبيل النجاة من نار الاحتلال، وطريق تحرير

الوطن، و يذكرهم بوحدة الدم الفلسطيني، و وحدة الانتماء، و وحدة الآلام والأمال، و وحدة

المصير، ويدعوهم إلى التفاهم و التوحد؛ لأنه أصل من أصول الوجود الفلسطيني.

وبذلك حاول العف تلمس واقع المجتمع الفلسطيني لوضع حلولاً لمشكلاته ومعاناته وكشف

أسبابها الحقيقية والظروف التي ساعدت من تفاقمها، ذلك بالنظر والتبصر العميقين إلى واقع

القضية الفلسطينية، والكشف الجريء عن المشكلات التي أضرت بالبنية الاجتماعية، ورسم

الطريق الصحيح والمعالم الواضحة لمسيرة المجتمع نحو وحدة شاملة تسهم في الحد من مظاهر

التفكك والانقسام، و تدفع بالمجتمع نحو واقع متماسك قائم على التوحد والتكافل الذي يحقق

التوافق والرخاء لأبناء المجتمع الفلسطيني.

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

خامساً- البعد الحضاري:

لقد تركت المنجزات العلمية و الحضارية آثارها الواضحة على الإنسان، غير أنها تكتسب لدى الأديب أثراً متميزاً لما يتمتع به من حساسية و ثقافة مكنته من الوقوف على أهمية تلك المنجزات، و فتحت أمامه آفاقاً واسعة من المعرفة أثرت تجاربه الشعرية.

وتهدف الأبعاد الحضارية للخطاب التربوي في شعر العف إلى استثمار المعطيات العلمية في الرقي بالمجتمع الفلسطيني و تطويره، و بناء العقول على استيعاب التقدم العلمي، و التطور الحضاري، و توظيفها للنهوض بالمؤسسات التعليمية و الحضارية، و محاربة الفوضى و الجهل، و التصدي لسياسات الاحتلال و مخططاته اتجاه الأجيال العربية و الإسلامية .

وللعف روابط وطيبة بالعلم و العلماء تشده دائماً إلى استيعاب المنجزات العلمية و الحضارية، و الإشادة بالدور الذي تؤديه المؤسسات العلمية و التربوية في الرقي بالأفراد و المجتمعات و النهوض بالأمم، على نحو ما يتجلى في قوله: (العف: 59)

لييك جامعة للحق فانتسبي لك انتمائي و للإسلام و القيم
لييك رائدة في درب عزتنا لبيك ساطعة كالبدر في الظلم

...

...

يا قرة العين لا تحصى شمائلها نفديك بالروح أو نرعاك بالنسم
أنشودة الفخر يا صرح الحضارة لن يمسك البغي بالأواء أو يسم
من ذا ينافح سوم المجد مجتهدا فيطلب المجد في الإسلام و القلم
يا قاهر الظلم جنب صرح عزتنا فكر الطغاة و بدد حالك الظلم
واجعل توحدنا عنوان رفعتنا حتى نوجه نحو القدس و الحرم
يا رب احفظ لنا في العين جامعة واجعل مناقبها لحنا بكل فم

عبر الشاعر في هذه القصيدة عن اهتمامه بالمؤسسات العلمية و الحضارية و عمق انتمائه للجامعة الإسلامية التي تحوّلت منجزاتها العلمية و الحضارية إلى نور يسطع في سماء الوطن، و يرسم معالم حضارة عربية فاعلة و مؤثرة، تركز على مرتكزات إسلامية، تهدف إلى بناء أجيال إسلامية تحمل على كاهلها وحدة الأمة، و تحرير الأوطان، و الحفاظ على المؤسسات العلمية و القلاع الحضارية من الأيدي العابثة، على نحو ما يتجلى في قصيدته (لييك جامعة الخيام):

(العف: مخطوطة)

لييك جامعة الخيام عزيزة رغم التألم في الحشا المرتاع

لبيك صانعه الرجال كريمة
لهفي على تلك القلاع لهبها
رغم الأسي في الخافقين مشاع
يكوي فؤادي أو يصم سماعي

...

...

حصن منيع بالعقيدة والتقى
إن قيل حي على الجهاد تدافعت
زأرت أسود الحق في جنباتها
يا نخلة شماء طاولت المدى
تفديك منا المقتلان بل الدما
دمت على مر الزمان عزيزة
قد فاق في العليا رؤوس قلاع
أواجهها لبت نداء الداعي
فتسللت وجلى سيول أفاعي
لم تسقني لن تهدمي لا لن تراعي
يفديك بالأرواح كل شجاع
ورعاك ربي يا له من راع

يصور الشاعر في هذه القصيدة ما حل بالجامعة الإسلامية من دمار على أيدي قوى الجهل والأوهام البالية، ويكشف عن مكانتها في قلوب طلابها، ودورها في تقديم العلم والخلق السوي لأبناء الوطن في محاولة منه لغرس قيم العلم و الحضارة في نفوس طلابها و شبابها، وطمأنتهم بأن هذه القلعة الحضارية الرائدة عصية على الهدم والتدمير؛ لأنها أنشئت على التقوى و حصنت بالعقيدة و الأرواح التي تربت على موائد القرآن، و عرفت قيمة العلم و العلماء، و الدور الريادي للجامعة في التصدي للمخططات الصهيونية.

فالشاعر أشاد بتضحيات طلاب الجامعة، و أهاب بالعلماء، و المفكرين الذين يولون اهتمامهم بالعلم ومؤسساته، وبالحضارة ومنجزاتها، و اقترنت دعوته إلى العلم و الحضارة بحملة على دعاة الجهل و الفوضى، على نحو ما يتجلى في قوله: (العف: 77)

يا أمتي ثوري على الطغيان
ثوري على القيد المهين وحطمي
يا أمة الإسلام هل من قائد
ما أنشأت فوضى حضارة أمة
بجهادنا تعلق سوامق عزنا
لسنا غشاء السيل إنا أمة
و إذا عزمنا فالجهاد سبيلنا
قبل الترددي في ثرى النسيان
أغلال أقصانا من العدوان
يبني صروح العز و الإيمان
ما حرر الأوطان فيض لسان
رايات مجد في ربا الأوطان
نغدو إلى الساحات كالطوفان
والغاية العظمى رضا الرحمن

يحذر الشاعر من خطورة الجهل و الفوضى و الشعارات الجوفاء التي لا تبني حضارة و لا تنهض بأمة، و لا يكون البناء و النهضة إلا بالإقبال على منابع العلم و المعرفة، و التمسك بسبل

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

التقدم و الحضارة، فهي الطريق لاسترداد الحقوق، و نيل الحريات، و بناء الأجيال، و تقدم الأوطان.

و يحث الشاعر على القيم الحضارية التي تتفق مع طموح المسلم و تحقق ما يصبو إليه من طمأنينة، و تمحو ما علق بذهنه من عادات بالية، و تطيح بزيف الحضارات الظالمة، و تبني حضارة إنسانية تتسم بالعدل و الشمولية، تجعل القضايا الإنسانية محور اهتمامها، و بذلك يكون العف إنسانياً في تطلعاته، و يرى الحضارة بما تقدمه من حلول سليمة لقضايا الإنسان و مشكلات واقعه.

سادساً- البعد الإنساني:

يسعى العف من خلال خطابه التربوي إلى تحقيق القيم الإنسانية السامية القائمة على نشر المبادئ و المثل العليا بين الناس، و ذلك بالدعوة إلى المحبة، و الإخاء و العمل على قيام مجتمع إنساني يسوده العدل، و الرحمة، و المحبة، و الخير، و قصائد العف لا تخلو من نداءات رقيقة يخاطب فيها المشاعر؛ لإيقاظ الضمير الإنساني من أجل نشر الخير و المحبة بين الناس.

و قد عبر البعد الإنساني في شعر العف عن الإنسان في مختلف حالاته أصدق تعبير حيث التزم بقضايا الإنسان الحياتية؛ و تحول شعره من تصوير للواقع إلى شعر يعمل على تطوير الواقع و النهوض بقيمه الإنسانية، و ركز على الإنسان بوصفه كائناً كرمه الله، و له حق الحياة بكرامة؛ لذلك تحولت القيم الإنسانية لديه إلى نضال مرير يخوضه الإنسان ضد القهر و الطغيان، و ضد كل قوى الاحتلال في العالم من أجل تحرير البلاد و العباد، و تجلى ذلك في قوله:

(العف:47)

قانا توشي منتهانا بالحرير

فاحفروا اللحد عميقا

و ادفنوا فيه الضمير

كفنوا العشب الذي

يبكي على قدم الرياح

ويستجير ...

بل كفنوا الشرف الأسير

قانا تودعنا و تودعنا

غياة سرنا

و الآه تنسجها خيوط

د . محمد كلاب

الحزن رجعا للصدى

و تدور في ساح الردى

أناث أقصانا الحزين

و يذوب في كأس العذاب

صدى التوجع و الأتئين.

ربط الشاعر في هذه القصيدة بين مذبحه قانا و أنات المسجد الأقصى، بين معاناة الشعب اللبناني و معاناة الشعب الفلسطيني مبرزاً الألام التي لحقت بالشعبين من جراء غطرسة الاحتلال الصهيوني و الصمت العربي إزاء ذلك داعياً إلى اليقظة، و نبذ الخلافات، و توحيد الصفوف، لمواجهة العدو المشترك .

إن عناية العف بالقضايا الوطنية لم تشغله عن العناية و الاهتمام بالقضايا العربية والإسلامية؛ لأن قضية فلسطين ليست وجوداً قائماً بذاته منعزلاً عن محيطه العربي والإسلامي، فهي جزء منهما تتأثر بهما وتؤثر فيهما، و مما يعكس إيمان الشاعر بالعميقين: العربي و الإسلامي للقضية الفلسطينية، و بوحدة جهاد الأمة لتحرير الأقصى و تطهيره من دنس الاحتلال، و بقوة الروابط الدينية و الإنسانية التي تربط بين تحرير فلسطين و حركات التحرر العالمية التي عبر عنها الشاعر بقوله: (العف: 18)

صنوان نحن

يلفنا شجن مرير

من قيد كوسوفا

إلى الأقصى الأسير

ترنو العيون إلى السماء

يظلنا ألم كبير

لم يبق في الأوطان متسع

و قد كتب الرحيل

فلتستعدي يا منافينا الأخيرة

و لتعصفي يا نوة الدانوب

هدأة نهرنا الغافي بأحضان السلام

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

لم يقف العف عند هموم شعبه و قضايا وطنه بل امتد ببصره و بصيرته، وبخياله و فكره؛ ليعبر عن واقع أمته، فوقف على معاناة شعب كوسوفا ثم ربط بينها وبين معاناة الشعب الفلسطيني و تطلعاتهما نحو تحقيق وعد الله بالنصر و التمكين .

و هكذا امتدت المشاعر الإنسانية لدى العف لتشمل كل من لبنان، و البوسنة و غيرهما من بقاع الأرض؛ لتحدث نوعاً من التواصل الإنساني، و تحول الشعر من تسجيل لمظاهر الحياة و الوجود إلى علاقات تنفذ إلى أعماق النفس، و تتصهر في آلام الإنسانية وآمالها؛ لتعبر عن أفكارها، وتطلعاتها، و حقوقها المشروعة في حياة كريمة .

وبذلك عمل البعد الإنساني في شعر العف على نطاق واسع، و يتضمن معاني تسمو بالإنسان وحياته، و تعمل على تحقيق الأفضل من خلال دعوته إلى التعاون و إيجاد صيغة للتعايش بين الناس قوامها المحبة و الإخاء، تسعى إلى تحقيق الرخاء، و الانطلاق في رحاب التواصل الإنساني القائم على أسس إسلامية و منطلقات دعوية، لذلك اشتملت صورته الشعرية على واقع عميق و مؤثر في وجدان المتلقي، لتضمنها معاني تشبع طموحه و تطلعاته نحو الحرية.

وهكذا شكلت الثقافة الإسلامية رصيماً فكرياً عمق المشاعر الإنسانية لدى العف فجعلته يتجاوز الفردية والذاتية؛ ليعانق القضايا الإنسانية عناقاً شعورياً واسعاً، ويفتح بصوره الشعرية على حقول معرفية تفيض بنغمات إنسانية تلامس شغاف القلب، ولها أثرها العميق على النفس .

سابعاً - البعد السياسي:

استوعب الدكتور عبد الخالق العف الأبعاد السياسية للقضية الفلسطينية وامتداداتها العربية، الإسلامية، والعالمية من خلال تجاربه الذاتية ومعاناته تحت وطأة الاحتلال؛ لذلك راح شعره ينبض بالتطورات السياسية للقضية الفلسطينية، ويشيد بالمقاومة، ويمجد الشهداء، ويدافع عن الحريات، ويندد بالمتخاذلين والمتاجرين بالقضية، ويبرز مدى التمزق الذي وصلت إليه الأمتان: العربية والإسلامية، ويعالج قضايا الشعب الفلسطيني بوصفها الجرح النازف في جسد الأمة الإسلامية .

وقد حظيت الدعوة إلى الحرية ومقاومة الاحتلال بمكان الصدارة في الخطاب التربوي للشاعر عبد الخالق العف بحيث باتت شغله الشاغل، وهدفه الأسمى الذي يطمح إلى تحقيقه كونها تشكل جوهر كرامة شعبه، ووجود أمته، ولذلك يعبر العف عن شوقه إليها وإصراره على نيلها بقوله: (العف : 21-22)

الريح الهوجاء التترية

د . محمد كلاب

تقتلع العشب الآمن

تصغ بالياقوت زبرجد

والأحمر في درب الثورة يمتد

فتشع الراية والفرقد

وتضيء شמוש الحرية

يكشف الشاعر في هذا المقطع حجم الهجمة الصهيونية، وشراستها على حرية الشعب الفلسطيني؛ الهجمة الهوجاء التتريية التي تسعى إلى اقتلاع الأمن والاستقرار، وزراعة القتل والدمار، وبالمقابل يوحي العف - من خلال توظيفه للون الأحمر - بقوة الثورة الفلسطينية وحجم تضحياتها الراضة للخنوع والاستسلام، والواعدة ببزوغ فجر الحرية .

وقد تعرض العف إلى حال الأمة المتردي فاننقد صمتها إزاء ما يجري في فلسطين من انتهاك لأبسط حقوق الإنسان، وذلك بقوله: (العف: 67)

حجر يطاول أفقنا ويحلق

هانت فليس لها بنود تخفق

كالصبح من ديجورنا تتفلق

تعلی سوامقها بمجد يورق

من أي كف في السما يتألق

رعد يزلزل صمت أمتنا التي

هذي بشائر ثورة قدسية

تبنى معالمها بفتية مصحف

كشفت هذه الأبيات عجز الأمة عن نصره أطفال الحجارة، والتواطؤ مع الاحتلال بصمتها على ما يحدث داخل فلسطين، وتجاوز الأمر حالة الصمت إلى حالة التآمر على إجهاض المقاومة الفلسطينية من خلال مؤامرات الاستسلام التي تحاول الالتفاف على حقوق الشعب الفلسطيني وقد عبر العف عن ذلك بخاطبه لبطل المقاومة: (العف: 51)

ها قد نجوت من الغياب

وانثال نجمك ساطعاً فوق السحاب

ها قد نجوت

وأشرقتم شمس الحقيقة

ورسمت للكون طريقه

ومحوت من حلم الغفاة

خيوط خارطة السراب

صور الشاعر بسخرية مريرة المبادرات الاستسلامية العقيمة التي تتبنتها القيادات المتآمرة على حقوق الأمة؛ القيادات التي تلهث وراء السراب، و تستمرئ الذل والهوان دون

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

جدوى، وحثّ من خطورتها، ودعا إلى الثورة على كل أشكال الخنوع والاستسلام، وذلك في قصيدته (يا أمة الحق) التي يخاطب فيها أمته قائلاً: (العف: 77)

يا أمّتي ثوري على الطغيان قبل التردّي في ثرى النسيان
ثوري على القيد المهين وحطمي أغلال أقصانا من العدوان
يا أمة الإسلام هل من قائد يبني صروح العز والإيمان

...

...

ما بالتذلل والتخاذل أدركت تلك الشعوب حقوقها بهوان
بل سل سيف الثار من غمد الدما فانهذ ظلم سامق الأركان

أبرز هذا المقطع مسؤولية الحكام اتجاه شعوبهم وأمتهم، وكشف لنا عن بعض المفاهيم المنحرفة، والهمم العقيمة، والهوان الذي لا يسترد حقوقاً، ولا يعيد عزة، ولا يحرر أرضاً، مشيراً إلى درب العزة والكرامة والمقاومة الذي هو درب النهوض بالأمة، لذلك خاطب البطل قائلاً: (العف: 27-28)

يا أيها البطل المسجي

فوق هالات اللظى

رحماك لا تذر الرماد معذباً

يعلو رغام المسبغة

عرافنا فقد التحكم في أصول الأحجية

فاقذف على وجه الخيانة

ما تبقى من سواد الأتربة

...

...

يا أيها الصديق ...

أطلق أيادي الثائرين

قد آن للفرسان أن يتوسدوا

ظل الحياة

لم يبق شيء يخسروه

سوى المته

أو أن تذلل بساحة السلم الجباه

يضيق الشاعر ذرعاً بما آلت إليه الأمور من خيانة وتآمر؛ فحث الجماهير على الثورة والتمرد ورفض السلام المذل، وقذف الأتربة السوداء - التي خلفتها آلة الدمار الصهيوني نتيجة اتفاقيات الذل والعار - في وجوه أذعياء السلام، وفي وجوه من باعوا البلاد، وشردوا العباد، واستمروا الذل والهوان، وبات الحفاظ على كراسيهم ومصالحهم هو الهدف الأسمى الذي تهون دونه البلاد والعباد، وتباع من أجله الذم والأثم .

فالشاعر في خطابه السياسي رصد بتفاعل المؤامرات التي تحاك ضد الأمتين: العربية والإسلامية وقضاياهما العادلة، كما سلط الضوء على مواطن المعاناة وسبل التخلص منها، والنهوض من جديد لاسترداد الحقوق وإعادة الأمجاد ؛ وذلك بمقاومة الاحتلال لا باستجدائه والتذلل إليه ، هذا ما عبر عنه الشاعر بقوله: (العف: 74)

إن الحقوق إذا لم تنتزع غصباً	فلا حقوق لمستجد به خور
هيا إلى حقنا المسلوب ننزعه	لنا الصدارة أو من دونها القبر
و ليسمع الكون أصداء لصيحتنا	بركان ثورتنا يوماً سينفجر
يا فارس الحق زمجر و اتقد نارا	واجعل لواءك يعلو مثلما القمر
فجر سناك وطر في أفقهم لهبا	إن العدو بحد السيف يزدجر

تهض كلمات العف بواجبها الدعوي في تنوير الشعوب بما يحاك ضدها من مؤامرات، وتثويرهم ضد المستسلمين، والمتآمرين على الحقوق الوطنية والإسلامية، موظفاً لذلك بعض المفردات اللغوية التي تحمل هذه المعاني (تتزع غضبا ، حقنا المسلوب ، أصداء صيحتنا، بركان ثورتنا سينفجر، فارس الحق زمجر و اتقد نارا، فجر سناك وطر في أفقهم لهبا) ومكرراً بعض المفردات (الحقوق ، تنتزع)؛ للتأكيد على حتمية استرداد الحقوق، والتمسك بالثوابت، والإيحاء بطاقات تعبوية، مع بث روح الصمود والتحدي في وجدان المتلقي على نحو ما نرى في قوله: (العف : 83-84)

يا مهد الثورة يا وطني	يا زهر البركان الغاضب
يا لهب الجمره في المحن	أشعل نيرانك في الغاصب
قسماً سنقاوم يا شعبي	
لو زرعو الأشواك بدربي	
لو نزعوا من زندي المدفع	لو سرقوا قنديل المشرع
أبدأ للظالم لن نركع	

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

أبدأ للباغي لن نخضع

تسطع في الديجور الشاحب

وستبقى شمس الحريّة

قسماً يا وطني لن ننسى

يافا والمجدل والقدسا

عن وطن الشهدا لن نرحل

نقسم بالثأر من المحتل

يا جرح فلسطين الدامي

يا نرف جنين القسام

ونلبي في الهيجا الواجب.

ستظل الراية خفاقة

يطالعنا العف في هذا المشهد بنبرة خطابية عالية ذات سمات انفعالية وملامح حماسية أقرب إلى النشيد الحماسي بألفاظه القوية، وموسيقاه المثيرة التي تحشد الطاقات، وتثير الهمم، وترسخ الإيمان بحتمية انتصار المقاومة وقدرتها على استرداد الحقوق، مؤكداً ذلك بتكرار القسم - (قسماً سنقاوم يا شعبي، قسماً يا وطني لن ننسى) - وما يحمله من قيم روحية، وتكرار السين - (سنقاوم ، ستبقي ، ستظل) - الذي يحدث صغيراً نغمياً يوحى بتأكيد الفعل وقرب حدوثه، والإكثار من استخدام الأفعال التي تعبر عن الروح الجماعية - (سنقاوم، لن نركع، لن نخضع) - وتؤكد على فاعلية الحركة، والإصرار على المقاومة والصمود.

ويقدم العف من خلال تجربته صورة واعية للواقع الفلسطيني يحاول من خلالها غرس الوعي لدى المتلقي بمتغيرات المرحلة ووضعه أمام حتمية الثورة في وجه المخططات الصهيونية، ومقاومة الاحتلال، مستثمراً في ذلك الطاقات الفكرية والنفسية للأمثال الشعبية على نحو ما نرى في قوله: (العف: 85)

فبكت ظهور الخيل جلسة أحمد

فتوهجت أنوارهم بالمرشد

هذا أوان الشد فاشتدي يدي

فاعمد إلي نار تشار بأزندي

وأحرق ديار الغاصب المتمرد

فرغامهم لا يستوي والعسجد

ها قد ترجل فارس عن سهوة

قباد الأتام إلى العلاب جهاده

هذا أوان الثأر يا جند الفدا

ماحك جلدك غير ظفرك يا أخي

أشعل عروش الظلم ناراً ولظى

واشف الصدور بألف رأس للعدا

تناص الشاعر في هذا المقطع مع المثل التراثي القائل: "هذا أوان الشد فاشتدي زيم"، والمثل القائل: "ماحك جلدك غير ظفرك"، ووظفهما توظيفاً فنياً يتناسب مع دلالة السياق الشعري للقصيدة، وتعبيراً عن الحالة النفسية الناتجة، وحثاً للجماهير على الاستعداد والتأهب لمواجهة

د . محمد كلاب

الشدائد، وتكاثف الجهود من أجل تصعيد المقاومة واستمرارها، وتأكيداً على الهوية العربية والأصالة الإسلامية في مواجهة المخططات الصهيونية الهادفة إلى طمس الهوية الإسلامية، وإذابة الشخصية الفلسطينية التي حرص العف على التمسك بها من خلال قوله: (العف: 53-54)

لا تتحني يا زهرة البركان

يا نبض ثورتنا

حتى لو اتهار الكبار

حتى لو اسود النهار

فالحر في وطني منار للدنا

والجرح قنديل يوججه

لهيب جهادنا

الحر في وطني شموخ

وانتفاضة كبرياء

يسمو يعانق هامه

نجم السماء

لا تتحني واجعل لواءك

شامخاً كالسنبله

فإذا تمادت صولة المحتل

فانحن - لا ذلة -

لكن لتزرع قنبلة

اتسم هذا المقطع بالنبرة الخطابية العالية حيث اشتمل على صور رائعة لزهرة البركان بكل ما تحمله هذه الكلمة من طاقات وجدانية وظلال إيحائية، تستهض الهمم، وتحت على المقاومة والصمود الذي بات ثقافة ممتدة وراسخة في كل مظاهر الحياة الفلسطينية السائدة في هذا المقطع، وقد غذتها المفردات والتراكيب اللغوية التي اشتمل عليها معجم الشاعر: - لا تتحني يا زهرة البركان، نبض ثورتنا، الحر في وطني منارة للدنا، الجرح قنديل، الحر في وطني شموخ، انتفاضة كبرياء، يسمو يعانق هامه نجم السماء، اجعل لواءك شامخاً كالسنبله فانحن لا ذلة لكن لتزرع قنبلة) - إلا أن خيطاً من الحزن تسرب إلى القصيدة وغذته بعض المفردات اللغوية - (انهار الكبار، واسود النهار)- التي أضفت نغمة حزينة على بعض الصور الجزئية، ورغم ذلك

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

ظلت لغة القصيدة وصورها وموسيقاها تشع بالأمل الذي يوحى بالتفاؤل، وتبث الحياة في وجدان المتلقي .

إن تكرار العف لأسلوب النهي في قوله (لا تتحني) والأفعال الأمرة (اجعل ، فانحن، لتزرع) لم يكن تكراراً عابراً، بل جاء ليؤكد قوة العزيمة المجدية، والإصرار على المقاومة، وتنمية الأمل بالنصر في وجدان المتلقي، ويضغط على الفكرة المسيطرة على الشاعر؛ ليشرع المتلقي بأهميتها ودورها الفاعل في الصمود، ويعمل على تهيئة الجو النفسي للمتلقي وتعميق إحساسه باتساع مساحة الأمل ونموها في قصيدته .

وبعد دراسة أبعاد الخطاب التربوي في شعر العف يتضح أنه خطاب هادف لا ينشأ من فراغ؛ لانطلاقه من مرجعيات فكرية وروحية هادفة، ونموه وتطوره في بيئة معرفية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمرجعيات الإسلامية، وممزوجة بتجاربه المعاصرة بكل جوانبها العقديّة والفكرية، وكذلك لا يؤول إلى فراغ لوعي مبدعه بدوره المنوط به، وفهمه لطبيعة رسالته، وشعوره بالمسؤولية اتجاه أمته، وحرصه على بناء الأفراد والنهوض بالمجتمعات، "ومن المؤكد أن الأديب حين يلتئم مع المجتمع ومع روح عصره يصبح عمله الأدبي باهراً؛ بما يصور من أحداث زمنه ومن روحه أما حين يتقاطع معه؛ فإن موقفه يصبح شاذاً أو يصبح أدبه ضرباً من ضروب الثثرة لا يثير اهتمامنا بحال من الأحوال " (شوقي ضيف:198)؛ لعجزه عن التفاعل مع قضايا المجتمع، وافتقاره إلى القيم التي تسمو بالأفراد، وتنهض بالمجتمعات، وبذلك يظل المبدع والمتلقي على يقين بأن الأدب الهادف ينمو في بيئات تمدّه بالتجارب والوقائع والأحداث، يدركها الأديب ويعيد صياغتها صياغة فنية بشكل يشعر المتلقي أنه أمام صور فنية متطورة منفتحة على قيم تربوية وحضارية سامية، تهدف إلى بناء النفس الإنسانية والكشف عن تطلعاتها التربوية.

وبذلك يمثل الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف نسيجاً شعورياً متسقاً تشكلت معطياته الدلالية وآفاقه الجمالية من عمق الفكر، ونقاء العقيدة، وصفاء التصور، وصدق الإحساس بقضايا الأمة وهموم الوطن؛ لذلك امتزجت قصائده بالحزن والثورة على ما آلت إليه بعض القيم التربوية، والرغبة العارمة في إصلاحها، لـ " أن شهوة إصلاح العالم هي القوة الدافعة في حياة الفيلسوف والنبي والشاعر؛ لأن كلاً منهم يرى النقص فلا يحاول أن يمدح عنه نفسه، بل يجتهد في أن يرى وسيلة إصلاحه " (صلاح عبد الصبور، 1992م: 103) الرقي بقيمه، والتفاؤل بلامح واقع جديد قائم على زنود فنية نشأوا على موائد القرآن الكريم، و السنة النبوية وتحصنوا بهما، وفهموا رسالة الإسلام وتحرروا من عقدة الخوف واليأس.

فالخطاب التربوي ابرز مدى حرص (العف) على بلورة منظومة تربوية، تعمل على الرقي بالإنسان و تأهيله لحمل الأمانة التي خلق من أجلها والمتمثلة في قوله تعالى: " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (الأحزاب:72)، لذلك عمد الخطاب التربوي إلى تنمية التكوين الفكري والسلوكي للأفراد والمجتمعات والأمم، وتزداد فاعليته بانطلاقه من منطلقات دينية يؤمن بها المبدع والمتلقي؛ لأن " الفن ليس إلا جانب من الوعي الديني " (مجاهد عبد المنعم،1980م:121)، الذي يسعى العف إلى استثمار نماذجه ومواقفه و أحداثه بما يتماهى وتجاربه المعاصرة، ورفدها بحقول معرفية من شأنها أن تعمق خطابه التربوي وتكسبه عمقاً تاريخياً، وبعداً إنسانياً، وأفقاً حضارياً، تجعله شديد الالتصاق بوجدان الجماهير .

وهذا يوحي بنوع الكتابة الفنية وخصوصيتها البناء التي حرص فيها العف على خلق مناخ تواصلية حميم بين الأدب والمجتمع، يستثير مكنونات الوعي عبر حركة تفاعلية تربط الماضي بالحاضر، والفردى بالجماعى عزفاً على القيم في طابعها الإسلامى الذى يكسبها عمقا و ثراء و قدرة على التغلغل فى قضايا الأمة و التأثير فى وجدانها، والشاعر " بقدر ما يستوعب واقعه، يحاول التعبير عنه، وبقدر ما يكون استيعابه شاملاً يصبح تعبيره أكثر صدقاً و توهجاً، وبقدر ما يتمثل قيم واقعه ويحاول تجاوزها فيرسى مقدمات عظمته وخلوده " (محمد شفيق شيا،1980م:59)، ضمن رؤى فنية و تصورات جمالية هادفة تقدم للإنسانية قيماً فكرية وروحية ، تسهم فى ترسيخ مضامين تربوية فاعلة .

فالخطاب التربوي فى شعر العف ليس تاريخياً يروى ولا حكاية تحكى، ولا شخصيات ومواقف تذكر، ولا معطيات جامدة توظف، بل هو طاقات دينامية تتبع بالحوية ممزوجة بفكر الشاعر يتم تناولها عدة مرات بأشكال مختلفة، و إن " اختلاف الصورة التى تعرض فيها هى التى تعطىها قيماً جمالية مختلفة " (عز الدين إسماعيل، 1974م:216)، وتفتحها على آفاق دلالية تتجدد مع كل قراءة، تشعر القارئ فى كل مرة أنه أمام صورة جديدة لها قيمتها الدلالية والجمالية الخاصة .

وبذلك يتسم الخطاب التربوي فى شعر العف بالخصوبة و الإيحاء اللذين يفتحان النص على فضاءات تأويلية واسعة تتيح للقارئ إمكانية معاودة القراءة؛ لاستكشاف كنه النص، مما يتطلب من القارئ جهداً كبيراً و إخلاصاً أكبر، و بمقدار ما يبذل القارئ من جهد و إخلاص فى القراءة يكون حظه من فهم أبعاد الخطاب التربوي، فيشعر إزاءه بالانسجام و الألفة، وكلما أوغل بالقراءة تنكشف أمامه قيماً جديدة ، وتتجلى آفاقاً رحبة من الإيحاءات التربوية، تحفزه على

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

الغوص في أعماق النص؛ لاستكناه مضامينه وإدراك مرامييه، وتوسيع دائرة التأثير، فلا معنى لخطاب تربوي لا يؤثر في الجماهير ولا يفهمه إلا كاتبه، والشاعر لا يكتب لنفسه وإنما يكتب لأمته التي تقرأ شعره و تتفاعل مع دلالاته و تتأثر بقيمه، وبذلك " يخدم الأديب مجتمعه بما يقدم له من صور الأدب الإنساني وما يكشف له من قوانين النفس وقوانين الوجود، أو قل أسرار النفس وأسرار الوجود، وتلك الأسرار التي تنساب في جوانب الحياة " (شوقي ضيف: 191)و يتمثلها العف في خطابه التربوي الذي يبرز عمق العلاقة وسعة التفاعل مع الضمير الجمعي للإنسانية .

خاتمة:

- لله الحمد والشكر على ما أنعم ويسرّ، وبعد؛ فقد تناول هذا البحث بالدراسة والتحليل أبعاد الخطاب التربوي في شعر الدكتور عبد الخالق العف، وخلص الباحث إلى النتائج التالية:
- أسفر البحث عن تضمن الخطاب التربوي في شعر الدكتور عبد الخالق العف سبعة أبعاد تربوية تمثلت في الأبعاد الروحية، والأخلاقية، والوجدانية، والاجتماعية، والحضارية، والإنسانية، والسياسية.
 - تتجلى براعة الشاعر في استيعاب مصادر الثقافة الإسلامية واستثمار معطياتها ضمن رؤى فنية مؤثرة، تسعى إلى المساهمة في ترسيخ منظومة تربوية متكاملة تنهض بالمسيرة الإنسانية وترقى بمستوياتها الأدائية .
 - أبرز الخطاب التربوي مدى تفاعل الشاعر مع قضايا أمته وهموم شعبه، وحرصه على النهوض بأمته من خلال حثها على الالتزام بأسمى القيم التربوية، والتبصر بفاعليتها في تربية النفوس، وتهذيب الأخلاق، والسمو بالفضائل، والتوعية بأهميتها في تقدم المجتمعات ورفي الأمم.
 - حقق (العف) في خطابه التربوي فاعلية التوافق بين الفن والالتزام، وأبدع قصائد شعرية على قدر من الجودة الفنية والموضوعية ساهمت في جذب اهتمام المتلقي وتوعيته بالقيم التربوية السامية.
 - رغم تعدد أبعاد الخطاب التربوي وتباين مستوياته إلا أن الشاعر استطاع أن يمزجها جميعاً في وحدة فنية محكمة البناء، تتفاعل جميعها في إطار إبداعي متكامل، يشكل الرؤية الشعرية للمبدع.

- ابتعد الخطاب التربوي عن أية نظرية لا تقم وزناً للعلاقة بين الكلمة والفعل، بين الأدب والمجتمع، ذلك لوعي العف برسالته الإنسانية ودوره في المجتمع، وقدرته على التعبير بالكلمة الهادفة، والصورة المعبرة، والإيقاع المؤثر، وتفعيله لأقصى مستويات اللغة في الإيحاء والتأثير، وتمثله لأكثر القيم التربوية حضوراً، وبقدر استيعاب الشاعر لقيمه التربوية وتمثله لمعطياتها؛ يكون خطابه أكثر عمقاً وأقوى أثراً.
- تباينت الأدوات الفنية والوسائل التعبيرية التي جسد خلالها الشاعر أبعاد خطابه التربوي ما بين تقنيات السرد والدراما، وتعدد الأصوات وتداخلها، وتنوع الأساليب وتباينها، إضافة إلى التنوعات الإيقاعية ما بين نظام الشطرين ونظام التفعيلة، الأمر الذي أثرى تجارب الشاعر، وعمق من رؤيته الشعرية، وأسهم في تكثيف الحركة الدرامية وتفعيلها مع التقنيات الفنية والتطورات الدلالية والجمالية لمكونات الخطاب التربوي.
- اهتم الشاعر في خطابه التربوي بالبنية الإيقاعية حيث وظف معطياتها توظيفاً بارعاً؛ للإيحاء بتنوع الأحاسيس، وتباين أساليب التعبير عن قيمه التربوية بين المناجاة والسرد والدراما، وبمرونة وطواعية البناء الموسيقي الذي زواج فيه الشاعر بين نظام الشطرين ونظام التفعيلة، ضمن تقنية فنية تتم عن فهم ودراية بالشكلين، وتسعى إلى التلويح الإيقاعي، والتشكيل الكتابي الذي جاء نتيجة إحساسه بأهمية النهوض بالمضامين المختلفة، والمواقف المتباينة، للخطاب التربوي، مع اختيار الشكل الذي يتبلور فيه، فهناك تجارب شعرية تولى اهتماماً بالنسق الإيقاعي الموروث، وأخرى تتطلب النسق الإيقاعي الجديد، وإن المزج بينهما يوحى بسعي العف إلى خلق إيقاع حيوي قائم على التناغم، وقادر على الإفادة من المنجزات الإيقاعية التراثية والمعاصرة؛ لإثراء الخطاب التربوي وتعميقه في وجدان الجماهير، وإثارة اهتمامهم إلى إمكانية المعاشة والتناغم الدلالي والجمالي بين التراث والحداثة ضمن بنية فنية هادفة.
- أسعف الخطاب التربوي في استثمار معطيات الحداثة؛ لأن مفهوم الحداثة لدى العف ليس انسلاخاً عن المجتمع وابتعاداً عن قيمه التربوية بل هو استيعاب للمجتمع، واستلهاً لقيمه التربوية التي تمثل رافداً قوياً من روافدها المعرفية والجمالية القائمة على التفاعل والانسجام، وكلما تعمق المبدع من إدراكه للقيم التربوية أجاد فاعلية الارتداد لفهم مكونات التراث، وعيش الواقع الراهن، واستشرف آفاق المستقبل، كانت رؤاه التربوية أكثر فاعلية؛ لحرصها على مد جسور التواصل بين الحقول المعرفية المتباينة وسعيها إلى خلق نتاج إبداعي هادف يجمع بين التراث والمعاصرة، ضمن بنية دلالية وجمالية نامية، وبذلك تكون

أبعاد الخطاب التربوي في شعر عبد الخالق العف

الحدائثة احتضان للقيم التربوية وتطويراً لفاعليتها وتعميقاً لدلالاتها، وتأصيلاً لمرجعياتها الفكرية والروحية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- 1- أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د- ط)، (د- ت).
- 2- اميرتواكسو (1987)، تحليل اللغة الشعرية، ضمن كتاب في أصول الخطاب النقدي، مجموعة من الكُتاب، ترجمة أحمد المدني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1.
- 3- رمان سلدن (1998)، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار قباء، القاهرة، (د-ط).
- 4- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، مصر، ط8 .
- 5- صابر عبد الدايم (1983)، دراسات وبحوث في الأدب المعاصر، دار المعارف، مصر، ط1.
- 6- صلاح عبد الصبور (1992)، حياتي في الشعر، دار اقرأ، بيروت (د-ط).
- 7- عاطف جوده نصر (1978)، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس ودار الكندي، بيروت، ط1.
- 8- عائشة عبد الرحمن (1970)، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف، مصر.
- 9- عبد الخالق العف، ديوان شدو الجراح، مكتبة آفاق، غزة (د-ط) (د-ت).
- 10- عبد العزيز عتيق (1972)، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، (د-ط).
- 11- عز الدين إسماعيل (1974)، الأسس الجمالية في النقد الأدبي، دار الفكر اللبناني، ط3.
- 12- علي عشري زايد (1978)، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، الشركة العامة للنشر والتوزيع، ليبيا، ط1.
- 13- محسن جاسم الموسوي (1972)، الشعر بين الأصالة الثورية والمهادنة البرجوازية، مجلة الأقطام، العدد الثاني، السنة الثامنة، بغداد.
- 14- محمد زكي العشماوي:
- (1980) الأدب وقيم الحياة المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت.
- (1981) فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت.
- 15- محمد شفيق شيا (1980)، في الأدب الفلسفي، مؤسسة نوفل، بيروت، ط1.
- 16- محمود الربيعي: في نقد الشعر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، والقاهرة.
- 17- مجاهد عبد المنعم مجاهد (1980)، دراسات في علم الجمال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .